هذه هى الفلسفة الزراعية فى مصر وإسرائيل

أبو الوفا بدّور

بعد رحلته إلى إسرائيل .. عاد الدكتور محمود داود وزير الزراعة إلى القاهرة يحمل فى حقيبته .. أسرار طائر برى جديد يساهم فى مشروعات الأمن الغذائى .. أشجار موالح قزمية مثمرة فى أصيص للزهور .. تصميمات ماكينة زراعية جديدة تبذر القطن وتوفر نصف ما نستهلكه .. وأفكارا أخرى كثيرة كشف عنها فى هذا اللقاء الخاص مع مجلة أكتوبر .. ! !

بدايته .. محمود داود مع أريئيل شارون وزير الزراعة الإسرائيلى فى إحدى الضواحى الزراعية لأشجار وبساتين الزيتون

فى مزارع الموالح الجديدة داخل صحراء سيناء

وهذه الزيارة كما وصفتها أجهزة الإعلام الإسرائيلية كانت ناجحة مائة فى المائة .. استفاد منها خبراء الزراعة فى إسرائيل عندما تناقشوا مع الدكتور داود والوفد المرافق له وعرفوا لأول مرة عن تحميل المحاصيل الزراعية بالطريقة المصرية وفائدتها .. وأسلوب التعاونيات المصرى الذى يطبقه الإصلاح الزراعى وجمعياته التعاونية ..

أما تفاصيل الزيارة فيرويها لنا الدكتور محمود داود وزير الدولة للزراعة والأمن الغذائى .. خطة بالحقة منذ بدأت يوم الجمعة ٢٩ ديسمبر - ولمدة ٦ أيام - حتى الأربعاء ٣١ ديسمبر.

يقول الدكتور داود إننا لم نقطع خطة واحدة .. فما إن هبطت بنا الطائرة فى إسرائيل حتى وجدنا أنفسنا فى الجو الخاص بتصدير المحاصيل الزراعية الإسرائيلية فى مطار بن جوريون .. وتمت الاتصالات الرسمية وتبادل كلمات الترحيب بين مسئولى ومجازن التصدير التى تدار إليكترونيا بالكامل .. فالدورة أن الطائرات الخاصة بعملائنا يتم شحنها تماما فى خلال أربعين دقيقة فقط .. وفى ذلك المكان يتم شحن مليون طن موالح و ٧٥٠ مليون زهرة وعدد كبير من أطنان الخضروات والفاكهة إلى أسواق أوروبا كل عام.

بيرتوقيا .. ! !

وفى اليوم الثانى للزيارة .. وبالرغم من أنه كان يوم السبت - يوم الإجازة المقدس - فإننا قمنا بزيارة غير رسمية لمنطقة تسمى « بيتوقيا » وهى عبارة عن وحدة تعاونية على مساحة ٢٠٠٠ فدان يعمل بها حوالى ٧٠٠ شخص .. ويسمى ذلك النوع من المزارع « بالموشاف » . والموشاف هنا هو نظام التعاونيات الإسرائيلى الذى يحدد العلاقة بين الأرض والدولة والمزارعين .. وفى إسرائيل تملك الدولة أكثر من ٩٢٪ من الأراضى المخصصة للزراعة وتملك الأفراد ٨٪ فقط .. وفى الموشاف يقوم ذلك العلاقة على أساس المشاركة الكاملة فى وسائل الإنتاج بين الملاك التعاونيين وبين الحكومة.

أما الأرض فتوزع حسب خطة قومية تخدمها سياسة الدولة العليا .. وفى بيرتوقيا رأينا نظاما متكاملا للخدمات الزراعية .. جزء منه عبارة عن مصنع لإنتاج العلف الحيوانى تمد المزارعين باحتياجاتهم منه.

ويقوم على محطات المزرعة كلها - بالإضافة إلى بعض المكونات الأخرى من الحبوب .. وهناك أيضا مجموعة من مطارح الحيوانات وبعض الصوب الزجاجية التى تنتج الزهور (الورد البلدى) .. هذه تدار إليكترونيا بحيث تروى النباتات وتغذى تحت ظروف رطوبة وحرارة تحددها العقول الإليكترونية .. وهذا الاهتمام الشديد من جانب الدولة أو المزارعين فى زراعة الورد ونباتات الزينة جعل أسواق أوروبا تنتظر ٧٥٠ مليون زهرة قادمة من إسرائيل كل عام.

وفى اليوم الثالث للزيارة .. وكان يوافق الأحد ٢٨ ديسمبر قام الوفد المصرى بزيارة لمدينة القدس وأجراء بعض المقابلات مع إسحق نافون رئيس الدولة وإسحق شامير وزير الخارجية ومناحم بيجين رئيس الوزراء وزيارة خاصة إلى مكتب أريل شارون وزير الزراعة .. وقد أكدنا أن زيارتنا هذه إلى القدس على سبيل الخاصة وأكدنا ذلك مرة أخرى فى مؤتمر صحفى عقد بعد هذه الزيارات .. وعلل عدم اعتراف مصر بشرقى القدس الشرقية أو أساس بالضفة الغربية .. وقد أدلى هذا التصريح فى الأذاعة الإسرائيلية كما نشر بالصحف هناك .. وبعد الانتهاء من هذه الزيارات المكثفة عدنا مرة أخرى إلى تل أبيب فى نفس اليوم.

بيت شان ودالية الكرمل .. !

وعلى مائدة عشاء الكنيست أقام نفس الليلة تناولنا الغداء ومعنا مجموعة من الوجهاء العرب

... يحيط الجميع اثناء القاء محاضرة علمية فى الجامعة العبرية ..!

والدور من يسهم أمير طريف رئيس الرابطة الدرزية والشيخ أسعد رئيس الطائفة العربية فى هذه المنطقة . وبعد الانتهاء من الغداء وجه الضيوف مجموعة من رسائل الود والاحترام إلى رئيس السادات . أشادوا فيها بدوره الخلاق فى تحقيق عملية السلام ودفعه المستمر لها وسألوا الله ان يوفق خطاه دائما نحو إقرار السلام العادل فى منطقة الشرق الأوسط .

وقبل تناول الغداء كنا فى زيارة إلى « بيت شان » وهى إحدى المستوطنات الإسرائيلية التى اقيمت منذ أكثر من ٢٥ عاما وتتركز فيها صناعة جلوج القطن قصير التيلة . وبدأ الآن إدخال صناعة جلوج القطن طويل التيلة الذى ينتج فى تجربة زراعته منذ عدة سنوات على مساحة ٢٠ الف فدان . والمستوطنة لا تكتفى بذلك فقط انما بها مزارع لإنتاج الدواجن الرومى ومجازر آلية ومزرعة كبيرة للإنتاج الحيوان ومحطة كبيرة لتعبئة الموالح . وتعتبر أكبر محطة لتعبئة الموالح فى إسرائيل وطاقتها تصل إلى ٢٥٠ الف طن سنويا .

أما بعد تناول الغداء فى دالية الكرمل لنا زيارة إلى مدينة حيفا لزيارة السايلوهات وهى عبارة عن مستودعات القمح . وإسرائيل تستورد مليون طن قمح سنويا . وتعتبر مستودعات قمح مدينة حيفا من أكبر المستودعات فى إسرائيل وتعتمد على الميكنة الكاملة فى عمليات التفريغ والتعبئة والتخزين .

محاضرة فى الجامعة العبرية !

وفى يوم الثلاثاء . أى اليوم الخامس للزيارة . كان البرنامج مخصصا بالكامل للبحث العلمى وزيارة الجامعة . بدأ بزيارة سريعة إلى مركز البحوث القريب من تل أبيب والمسمى « بيت دجان » ويرأسه الأستاذ شان عبقيت وهدفه تم الاطلاع على أحدث البحوث العلمية فى مجال الزراعة التطبيقى .

أما التجربة التى شدتنا جميعا فكانت تكثيف زراعة أشجار الموالح والخوخ . يعنى أن فدان الخوخ مثلا تزرع به ثمانون شجرة فقط . أما بطريقة التكثيف الجديدة هذه فتزرع فى الفدان الواحد ٨ آلاف شجرة أى مضاعفة عدد الشجر مائة مرة فى الفدان . ويتم ذلك عن طريق تصغير جذور النبات وبالتالى يقل حجمه الخضرى أى الأوراق والفروع . ثم بعض المعاملات الخاصة بالهرمونات يتم إنضاج النبات وتوصيله إلى مرحلة الإثمار . وبالطبع كانت هذه التجربة تكاد تكون جديدة علينا وسوف نحاول متابعتها ونحاول تطبيقها فى حدائقنا الخاصة فى مصر

وبعد زيارتنا لمركز البحوث ذهبنا إلى كلية الزراعة فى الجامعة العبرية هناك وبدأنا الزيارة باجتماع مع هيئة التدريس وتمت مناقشة البحوث الخارجية فى محاصيل الكلية . كان من أهمها عملية تعقيم التربة عن طريق الطاقة الشمسية . وهذه تتم بطريقة مبسطة للغاية . فى فصل الصيف حيث تزيد درجة الحرارة تتم تغطية المخطط الذى سيتم زراعتها بالبلاستيك . الذى يؤدى إلى أن تحتفظ الأرض بدرجة حرارتها مما يعمل على تعقيم التربة فى ذلك المناطق . وبالتالى يتم القضاء على كثير من الأمراض الفطرية والنيماتودا ويسبب زيادة مباشرة فى إنتاج الفدان من المحصول التالى فى الموسم التالى مباشرة . وسوف نطبق هذه الطريقة عندنا فى مصر لسهولتها ورخصها وفائدتها

وبعد ذلك المقابلة مع هيئة تدريس كلية الزراعة طلب منى القاء محاضرة للطلبة عن السياسة الزراعية فى مصر وتاريخ التسعة الآلاف عام فى زراعة الأرض . والطريف أن أعضاء هيئة تدريس الجامعة وأساتذة مراكز البحوث قد راجعوا الطلبة فى المحاضرات . وتمت المحاضرة فى جو علمى هادئ استعرضت فيه طريقة التكثيف فى الزراعة المصرية التى تعتبر مصر فيها من أعلى دول العالم وأيضا خطة الوزارة فى هذا عن طريق زيادة معدلات التكثيف ٢ . سنويا أى بمعنى زيادة قدرها ١٢٠ ألف فدان إلى المساحة المحصولية كل عام . وأن خطتنا فى العشرين عاما القادمة هى زيادة المساحة المحصولية من ١٢ مليون فدان إلى ١٥ مليون فدان وذلك عن طريق استعمال التحليل الحصول والخاصيل المتصرة العصر لما يوفر بعض الوقت لخاصيل جديدة تمكن إدخالها فى الدورة الزراعية . وبعد انتهاء المحاضرة تمت مناقشة عن كيفية بدء مجموعة من أبحاث التكثيف الزراعى بالخط السابق استخدم فى مصر فى كلية الزراعة فى الجامعة العبرية . وتم الاتفاق على تبادل الأبحاث بين مركز البحوث فى مصر وكلية الزراعة بمركز البحوث فى وزارة الزراعة الإسرائيلية .

وانتقلنا بعد ذلك إلى معهد علمى آخر ومقابلة رئيسه الأستاذ مايكل سيلا أحد كبار علماء المنطقة . وشرح لنا الدكتور مايكل البحوث التى يقوم بها معهد « ريزمان » الذى يرأسه فى مجال زراعة الأنسجة النباتية وإمكانية إنتاج شتلات فراولة وبعض أنواع الخضر والفاكهة بهذه الطريقة . وقد مصر يتم حاليا بالاتفاق مع فرنسا إنشاء معهد مماثل فى مركز البحوث الزراعية .

وفى خلال زيارتنا للمراكز العلمية القريبة من الجامعة العبرية فى تل أبيب استرعت انتباهنا عملية تهجين غريبة تتم بين نوع من البط البرى مع نوع آخر من الطيور المائية عن طريق التلقيح الصناعى . والنتيجة بط من نوع جديد . عظم أى ليست له القدرة على التناسل . ولكنه يحمل أحسن صفات الأبوين . فالحجم كبير واللحم كثير وطعمه مقبول جدا ويصل إلى ٤ كيلو جرامات فى ٦٥ يوما فقط . وحتى ذلك النوع الجديد هناك نامى (الموزة) . وتم الاتفاق على شراء نصف مليون كتكوت من ذلك الموزد لحساب إحدى الجمعيات التعاونية التابعة للإصلاح الزراعى فى مصر لمحاولة إدخاله فى مصر لكى يساهم مع باقى الثروة الداجنة فى مشروعات الأمن الغذائى

الميكنة .. بالجملة !

وفى إسرائيل وجدنا نقصا شديدا فى العمالة والأيدى العاملة مما جعل الحاجة إلى استخدام الميكنة الزراعية أملا لابد منه . وبالتالى فإن أية زيارة إلى مزرعة إسرائيلية دون ذلك . فالاعتماد كامل على الميكنة الزراعية . ولكن الذى جذب انتباهنا مجموعة من الآلات الزراعية الصغيرة الحجم . السهلة التصميم . وكانت أمامنا ماكينة لبذر القطن يمكن عن طريقها توفير نصف البذور التى تستخدم وتضع هناك . وفى مصر إذا استطعنا استخدام هذه الماكينة فيمكن لنا أن نوفر ٥٠ ألف طن من بذور القطن كل موسم يمكن الاستفادة منها فى عمليات التصدير واستخراج الزيت والكسب .

ولقد تم إهداء آلة من هذا النوع إلى الوفد المصرى من مستوطنة (ناريطيا) المتخصصة فى زراعة القطن وعرضوا إرسال أى عدد من الآلات أو الخبراء للعمل على نجاح استخدامها فى مصر . والفيد فى هذه الآلة أنها لا تقتصر على القطن فقط . إنما تصلح لمجموعة أخرى كبيرة من المحاصيل النباتية مثل السمسم والعدس والقمح ورأيت إمكانية تصنيعها فى المصانع المصرية فى مصر

وبهذه الزيارة التى تعتبر اليوم الأخير لزيارة الوفد المصرى الزراعى إلى إسرائيل وعاد إلى القاهرة محملا بمجموعة من الأفكار الجديدة والتجارب الجديدة فى المجال الزراعى يمكن الاستفادة بها

وفى سؤال أخير للدكتور محمود داود وزير الدولة للزراعة والأمن الغذائى عن الانطباع الذى أخذه عن هذه الزيارة . وكيف يتم تحويل بعد حضارة زراعية ترجع إلى سبعة آلاف عام وهل ما شاهده هناك يمكن أن يتم أخذا ؟

قال الدكتور داود إن هناك اختلافا كبيرا بين الفلسفة الزراعية هنا . وهناك . فنحن نبحث عن الأمن الغذائى للمواطن المصرى ولذا نبذل جهدا كبيرا لتوفير . والزراعة فى مصر والفلاح المصرى له طعم آخر مميز عن أى فلاح فى العالم . أما هناك فهدف الزراعة الأول هو الحصول على العملة الأجنبية من الصادرات الزراعية . وهذا هو مفهومهم للأمن الغذائى

وعن طريق هذه العملات الأجنبية يمكن شراء كل ما يحتاجون إليه من باقى المواد الغذائية والشىء الجدير بالذكر هو الأسلوب الذى يتم للوصول إلى ذلك فمثلا فى عام ١٩٧٧/٧٦ كان حجم وارداتهم الزراعية يصل إلى ٧١٨ مليون دولار وصادراتهم حوالى ٥٣٢ مليون دولار أى بعجز يصل إلى ١٨٦ مليون دولار . وبعد عام واحد وفى الموسم ١٩٧٨/٧٧ انخفضت الواردات إلى ٥٦٣ مليون دولار وارتفعت صادراتهم إلى ٦٤٠ مليون دولار وحققوا بذلك فائضا قدره ٧٧ مليون دولار .

والجديد أن الموالح فقط تمثل ٤٠٪ من قيمة صادراتهم الزراعية هناك وتعتمد على نوع واحد من البرتقال (الشمولى) أما زراعة القطن فقد انعدم عام ١٩٥٣ ويغطى الآن حوالى ١٧٠ ألف فدان ويصدرون حوالى ٦٠٪ من فاخر قصير التيلة الذى يزرع بأسلوب الميكنة الكاملة تماما

أما عن إمكانية التعاون بيننا وبينهم فى المجال الزراعى فيقول الدكتور محمود داود إنه بعد هذه الزيارة وجد لديهم فعلا تكنولوجيا فى صناعة الدواجن الرومى وإنتاج الحيوان واللبن ويمكن التعاون معهم فى مجال الفاجر الزراعية سواء النباتية أو الحيوانية ومقاومة مرض الرفت فاق الذى يصيب الحيوانات والتعاون فى مشروعات الثروة الحيوانية بين التعاونيات .. فإن التعاون الذى يمكن أن يحدث .. سيكون ماذا لديهم لكننا نفتقده والعكس . وماذا يمكن أن يقدم كل جانب إلى الآخر تحت ظل سياسة مرنة ومنظمة لذلك الغرض